**جامعة الجيلالي بو نعامة ،خميس مليانة كلية الأدب و اللغات**

**مقياس نظرية الأدب الفئة المستهدفة : السنة الأولى ماستر أدب جزائري**

**أستاذة المقياس :د.حميدي شريفة**

**المحاضرة 01: مدخل :الأدب و الدراسة الأدبية**

**مفهوم كلمة أدب :** لكلمة أدب في تراثنا اللغوي دلالات كثيرة ،منها ما هو خلقي و منها ما هو نفسي و منها ما هو ثقافي ،يقول ابن منظور في لسان العرب : "الأديب الذي يتأدب به الأديب من الناس ،و سمي أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح ".[[1]](#footnote-2)

و أصل الأدب الدعاء ،و منه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة و مأدبة و أدب النفس و الدرس و الأدب الظرف و حسن التناول .

 و معلوم أن دلالات الألفاظ تتطور بتطور العصور ،و لذلك و عقب احتكاك العرب بحضارات الأمم المتجاورة أصبحت كلمة أدب تعني : "حفظ أشعار العرب و أخبارها و الأخذ من كل علم بطرف ".

و الأديب بهذا المفهوم يشبه الكاتب الموسوعي في عصرنا الحديث ، أي الكاتب المثقف مثل الجاحظ و ابن قتيبة و ابن عبد ربه ...

و إذا كان هذا هو مفهوم الأدب عند القدماء فهو لا يختلف كثيرا عن مفهومه لدى المحدثين الذين يرون أن ما يميز الأدب هو لغته التي تستحوذ على مشاعر السامعين .

و ذلك أن أول ما يميز الأدب هو لغته الانفعالية الصادرة عن عاطفة الأديب و مثيرة لعواطف المتلقين ،و إذا لم يحدث هذا التأثير فلا يعد أدبا ، ولو كانت صحيحة السبك ،متقنة الصياغة و إنما تعد نثرا علميا مجردا من أي أثر للانفعال أو العاطفة .

هذا من جانب التعريف اللغوي ،أمّا على المستوى الاصطلاحي فقد أعطي للأدب تعريفات كثيرة تأسست على وجهات نظر مختلفة و متباينة سنحاول ذكر أهمها .

 الأدب هو الكتابة التخييلية أي تلك الكتابة غير الصادقة حرفيا ،أي تلك الكتابة المنزاحة عن الكلام العادي ،وقد سادت النظرة القائلة بأن الأدب مرآة منذ عصر أفلاطون ،فهل هو مرآة للأشياء أم لعقل الأديب ؟أم لذات الأديب ؟أم هو مرآة للبيئة الاجتماعية و الثقافية ؟و كيف هي هذه المرآة ؟أهي مسطحة ؟أم مقعرة ؟أم محدبة؟...فالرؤية تختلف باختلاف المرآة .

 و هناك من يربط الأدب ببعض الظواهر ،فيصبح جزءا من الفن بشكل عام ،أو يصبح جزءا من المعارف و العلوم الإنسانية أو جزءا من الإيديولوجيا أو جزءا من النظام الاجتماعي ،فيعتبره البعض ظاهرة اجتماعية أو حضارية أو ثقافية .

 و نجد أيضا من يربط الأدب بطبيعته اللغوية ، أي الأداة التي صنع منها ، ومن هذه التعريفات نذكر ما يلي : الأدب فن لغوي أو لغة خيال ،أو كيان لغوي ،جسد لغوي ،أو رصف من الجمل ،و وفقا لهذه النظرية يكون الادب نوعا من الكتابة ، و التي عبر عنها رومان ياكوبسن باعتباره عنفا منظما يمارس على الكلام العادي ، فالأدب يحوّل و يكثّف اللغة العادية و يحيد بانتظام عن حديث كل يوم .

و وفقا لهذا الرأي نستشف أن الأدب ليس دينا ، ليس إيديولوجيا ،ليس سوسيولوجيا ،بل تنظيم خاص للّغة له قوانينه و بنياته ، و أدواته النوعية التي يجب أن تدرس في ذاتها بدل أن تختزل إلى شيء آخر .

 وكل هذا يحيلنا إلى أن دراستنا للأدب تتركز على ثلاثة جوانب مهمة :نشأة الأدب (مصدره) ،طبيعة الأدب (ماهيته )، و وظيفة الأدب (مهمته ).

 و البحث في هذه الجوانب يستدعي الاستناد على نظرية في المعرفة تنبني على فلسفة محددة حتى يوفر الباحث لأفكاره و آرائه درجة القوة و الإتّساق ، و هذا هو ميدان نظرية الأدب.

**مفهوم نظرية الأدب :** " هي مجموعة من الآراء و الأفكار القوية و المتّسقة و التي تهتم بالبحث في نشأة الأدب و طبيعته و وظيفته و هي تدرس الظاهرة الأدبية بعامة من هذه الزوايا في سبيل استنباط و تأصيل مفاهيم عامة تبين حقيقة الأدب و أثاره ".

 و على أساس هذا التحديد فإنه ليست كل الآراء في الأدب ترقى إلى مستوى النظرية ، لأنها لا تتأسس على فلسفة محددة .

و الإتّساق و العمق الذي تتصف به النظرية الأدبية لا يعني أن النظرية لا تخلو من الثغرات ،فكل نشاط ذهني و ثقافي يرتبط بمرحلة اجتماعية و حضارية معينة ، و الأمر ذاته ينطبق على نظرية الأدب .

و نظرية الأدب تهتم بمقوّمات الأدب كحقيقة عامة في أي زمان و مكان و في أي لغة كتبت بها و لا يتم الكشف عن نشأة الأدب إلّا بالبحث في العلاقة بين الأديب و العمل الأدبي .

و البحث عن طبيعة الأدب يعني بيان جوهر الأعمال الأدبية أو خصائصها و مميزاتها العامة .

و البحث في وظيفة الأدب يعني بيان العلاقة بين الأديب و جمهور القرّاء ، أي بيان أثر الأدب في المتلقين و لولا الأديب و القارئ لما وجد العمل الأدبي .

**المحاضرة 02: العلاقة بين نظرية الأدب و النقد الأدبي و التاريخ الأدبي**

**النقد العربي و أصوله :**

 تميزت الدراسات الأدبية بالتركيز على مفاهيم النقد الأدبي و أهم المناهج النقدية التي تمت الاستفادة منها في دراسة النصوص الأدبية ، و أهم المناهج النقدية التي تمت الاستفادة منها في دراسة النصوص الأدبية ، فمرة يتم استخدام هذا المنهج النقدي و مرة أخرى منهجا نقديا آخر ، وهو دليل التمايز و التباين بين معايير و مبادئ المناهج النقدية الحديثة .

 كما ظلت هذه المناهج في تطور مستمر ،بحيث في حقبة زمنية معينة يتغلب اتجاه نقدي على آخر ،وقد ظلت المناهج النقدية في النقد العربي الحديث مستمدة في معظمها من المناهج النقدية الغربية الحديثة .

**نظرية الأدب :**

 في هذا السياق نجد أنفسنا ملزمين بالتمييز بين نظرية الأدب و النقد الأدبي و التاريخ الأدبي ، فنظرية الأدب هي مجموعة المعايير و المبادئ النظرية البحتة ، وقد تكون في معظم الحالات مستمدة من النظريات الفلسفية ، وهي ليست لها علاقة بالناقد الأدبي ،لأنها تقوم بدورها بوضع المفاهيم العامة للظاهرة الأدبية ، ليأتي الناقد فيستمد مفاهيمه و منهجه من نظرية الأدب .

 و للتأكيد فإنه ثمة نظريات أدبية متعددة و لا توجد نظرية أدبية واحدة ،فالنقد الواقعي الاشتراكي مثلا تعود أصوله إلى الفلسفة الماركسية و التي تعتمد أصلا على الجدلية المادية ، أما النقد النفسي فتعود أصوله إلى دراسات عل النفس التي قام بها كل من سيغموند فرويد و كارل يونغ ، و غيرهما من الباحثين في علم النفس.

 و نظرية القراءة لها جذورها في الفلسفة الألمانية الظّاهراتية ،و البنيوية متأثرة بالدراسات الأنثروبولوجية لكلود ليفي ستراوس .

و مما لا شك فيه أن مفهوم نظرية الأدب ليس مفهوما موحدا في جميع الحالات ،فثمة نظرية الأدب التي تقوم على الجدلية المادية ،أو الانعكاس بين الفن و الواقع ،أو ما يدعى بالواقعية الاشتراكية ،أو نظرية التحليل النفسي ،أو نظرية الفن للفن أو الشكلية أو نظرية القراءة ،و نظرية النّص عند تودوروف و رولان بارت ، وهي نظريات مستمدة من مفاهيم مختلفة .فقد كان أرسطو منظّرا في الفن و الأدب ،و كان ابن رشيق في كتابه العمدة منظّرا أيضا ، و كذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز ،و كان الآمدي ناقدا بين البحتري و أبو تمام ، و كان رينيه ويليك و أوستين وارين منظّرين أيضا في كتابهما "نظرية الادب"...

**العلاقة بين المفاهيم الثلاثة :**

 العلاقة بين المفاهيم الثلاثة هي علاقة تبادلية و تظل نظرية الأدب تشمل النقد الأدبي و التاريخ الأدبي ،إذ لا يمكن إطلاقا استخدام مفهوم ي عزلة عن المفهومين الآخرين ، فلا يمكن استيعاب نظرية الأدب بمعزل عن النقد والتاريخ ، ولا يمكن استيعاب النقد دون نظرية الأدب و التاريخ ، فهناك إسهام بين النظرية و الممارسة .

 فنظرية الأدب هي التي تشرع و تضع المفاهيم العامة و النظرية للظاهرة الأدبية ثم يأتي دور الناقد فيستمد منهجه و مفاهيمه من نظرية الأدب ، إلا أن نظرية الأدب ليست مستمدة من الفراغ أو العدم ، و إنما هي أيضا اعتمدت على مجموعة من النصوص الأدبية و النقدية قديما و حديثا ،و اعتمادا كذلك على التاريخ الأدبي ، لأن المؤرخ الأدبي له دوره في تصنيف الموضوعات الأدبية أو النّصوص ،و هذا ما نجده مثلا عند ابن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" ، حيث صنف الشعراء اعتمادا على مبدأ الزمان و المكان ، فوضع طبقة الجاهليين أولا ثم المخضرمين ثم صدر الإسلام ثم المحدثين .

**المحاضرة 03: نظرية المحاكاة**

 نظرية المحاكاة هي أول نظرية في الأدب ، وقد صاغ مبادئها أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد (427-347 ق.م) ، ومن بعده تلميذه أرسطو.

 **أفلاطون** : تحدث أفلاطون عن فن الشعر في مجموعة كتبه نذكر منها : أيّون ، و الجمهورية ، و لم يخصص كتابا مستقلا عن الظّاهرة الأدبية ، لكنه خصّص جزءا كاملا من كتابه "الجمهورية " ليتحدث فيه عن الأدب و الفن ، وذلك على سبيل استكمال تعريفه لوظائف الناس في جمهوريته ، فذكر الشعراء و عرّف بوظيفتهم .

 يرى أفلاطون أن كل الفنون قائمة على التقليد (محاكاة للمحاكاة) ،و يستند في ذلك على الفلسفة المثالية التي ترى أن الوعي أسبق في الوجود من المادة ، و بذلك يقسم أفلاطون العالم إلى قسمين : عالم مثالي يتضمن الحقائق المطلقة و المفاهيم الصافية ، وعالم محسوس يتضمن الموجودات و هو مجرد صورة مشوهة عن عالم المثل الأول ، و الفنان أو الشاعر بهذا المفهوم يصبح عمله محاكاة لما هو محاكاة أصلا ، و هو بالتالي يبتعد كثيرا عن الحقيقة التي تكمن في عالم المثل و الأفكار .

 و يرى أفلاطون أن الله هو الذي يخلق الفكرة ،و الصانع يحاكي تلك الفكرة في شكل معين ، و الفنان يحاكي ما قدمه الصانع ، و بالتالي فالفنان و الأديب يقوم بما تقوم به المرآة التي تعطي مجرد مظاهر و صور مزيفة لا حاجة لنا بها ، فحاجتنا للأفكار لأنها هي الأصل ، و لذلك فهو يدين الشعراء لأنهم يخاطبون العواطف و يبعدون الناس عن استخدام العقل .

**أرسطو** (384-322 ق.م) : إذا كان أفلاطون أوّل منظر للفن و الأدب في التاريخ ،فإن تلميذه أرسطو يعتبر أول من وضع كتابا نقديا في تاريخ البشرية ، وهو كتاب "فن الشعر ".

 لقد سيطر كتاب "فن الشعر " لأرسطو على العقل الأدبي و النقدي الأوروبي لمدة تزيد عن 2000 عام ،فهو أساس النقد الإنجليزي و النقد الكلاسيكي الأوروبي حتى أواسط القرن الثامن عشر .

 إن أرسطو في كتابه "فن الشعر " قدم أول جهد نظري منهجي منظم في تاريخ نظرية الأدب ، و قد فقدت أجزاء من الكتاب ، أمّا ما وصلنا منه فهو يعالج المأساة و الملحمة و الكوميديا ، ومن خلالها يمكن استنباط نظرية في طبيعة الأدب و وظيفته بشكل عام ، و فيما يلي نذكر أهم القضايا التي تناولها أرسطو :

**أولا الشعر شكل من المحاكاة :**

قصر أرسطو مفهوم المحاكاة على الفنون و ليس على كل شيء في العالم ، ويرى أن الأديب حين يحاكي لا ينقل حرفيا بل يتصرف و يغير في الحقيقة ، حيث إن الشاعر لا يحاكي ماهو كائن ، بل يحاكي ما يمكن أن يكون، أو ما ينبغي أن يكون بالضرورة أو الاحتمال ، فالطبيعة ناقصة و الفن يتمم ما فيها من نقص ، فالشعر في نظره مثالي و ليس مجرد نسخ طبق الأصل ، و الشعر يحاكي الناس و أفعالهم كما هم أو بأسوء أو أحسن مما هم ، وقد يضع الشاعر بألفاظه أشياء لم توجد من قبل .

**ثانيا موضوع المحاكاة :**

 الشاعر لا يحاكي الأشياء و مظاهر الطبيعة فحسب ، بل يحاكي أيضا الانطباعات الذهنية و أفعال الناس و عواطفهم ، و إمّا أن يكون المحاكى عظيما مثاليا أو أقل مستوى ، فالتراجيديا تحاكي المثاليين العظام و الكوميديا تحاكي الأقل مستوى ، لكن يركز أرسطو على محاكاة فعل الشخصية لا الشخصية ، فالتمثيل يتناول الأخلاق من طريق محاكاة الأفعال سواء كان كوميديا أو تراجيديا .

**ثالثا الطبيعة الفلسفية للشعر :**

يرى أرسطو أن الصراع الذي أشار إليه أفلاطون بين الشعر و الفلسفة صراع مفتعل لا أساس له ، كما يرى أن المؤرخ و الشاعر لا يختلفان بأن ما يرويانه منظوم أو منشور ، فالوزن و الموسيقى ليسا هما الخاصية الأساسية للشعر بدليل أن كتابات هيروتس التاريخية تصاغ في أوزان و مع ذلك تظل تاريخا و ليست شعرا ، و لكن ما يميز الشعر عند أرسطو هو محاكاته للعالم الكوني فالشعر يحاكي ما يمكن أن يحدث و ما يمكن أن يحدث و ما ينبغي أن يحدث بالضرورة أو الاحتمال .

**رابعا وظيفة الشعر (التطهير ):**

لقد فصل أفلاطون بين المتعة و الفائدة و انحاز إلى الفائدة كلية ، و قد ركز أرسطو على أن وظيفة الشعر هي تطهير النفس البشرية من خلال تنمية عاطفتي الشفقة و الخوف ، و الشعر يهدف إلى إحداث توازن انفعالي و نفسي و بالتالي توازن أخلاقي و سلوكي .

**ملاحظات عامة حول نظرية المحاكاة :**

إن نظرية المحاكاة عموما لم تهتم بذاتية الشاعر و عواطفه و انفعالاته و إيمانه و خياله و انتمائه الفكري ،فالحدث و الحبكة أهم شيء فيها ،و الشكل أهم من الشخصية ،و أرسطو لم يذكر لفظا يدل على الخيال ، لكنه أوجد الأسس الأولى لهذه النظرية .

 تنبني نظرية المحاكاة على الفلسفة المثالية ، وقد اهتم كل من أفلاطون و أرسطو بالوظيفة الاجتماعية للشعر .

**نظرية المحاكاة و الأدب العربي :**

حظي كتاب أرسطو بالعديد من الترجمات العربية و التلاخيص التي قام بها العديد من الباحثين العرب على مرّ العصور بدءا من متّى بن يونس ، الفارابي ، ابن سينا ، ابن رشد و آخرون .

 وفي العصر الحديث اهتم معظم الأدباء العرب بنظرية المحاكاة ، و أفاضوا القول حول تأثير الفكر اليوناني في العقل العربي ، بدءا بطه حسين ، و محمد مندور ، و شكري عياد ، و زكي نجيب محمود ، و أخيرا نذكر جابر عصفور .

 و تعددت الآراء و تباينت حول درجة التأثر بالفكر اليوناني خاصة أفكار أرسطو حول الشعر و حول التاريخ المحتملة لبداية ذلك التأثر و ما إذا كانت الترجمات المبكرة قدمت صورة صحيحة أو مشوّهة لآراء أرسطو .

 و الباحث المنصف يرى أن البلاغة العربية نشأت و تطورت قبل أن يتعرف العرب على الفكر اليوناني ،الذي لم يكن من الممكن تفاديه ، فقد قدمت لنا البلاغة العربية الجاحظ قبل الفكر اليوناني ، ثم ابن طباطبا و قدامة بن جعفر حين كان التأثير في بدايته ،و أخيرا نذكر عبد القاهر الجرجاني الذي خالف الكثير من آراء أرسطو .

**المحاضرة 04: نظرية التعبير**

 **تمهيد** :

 في أواسط القرن 18 هيمنت الطبقة البرجوازية التي استطاعت أن تقوم بنهضة صناعية و اقتصادية ، و هذا بدوره أدى إلى قيام نهضة فكرية و علمية اجتماعية و ثقافية ،إذ انتقل الناس من الريف إلى المدن و اكتظّت المدن بالتجمعات و تولدت علاقات اجتماعية و اقتصادية ، وظهرت فلسفات جديدة و أدب و فن جديدين أيضا ،و ظهرت الروح الفردية و الروح الديمقراطية و المساواة و الحرية ، و ظهرت المطبعة و الصحف ، و الكتب و المكتبات ، و ظهر أدب جديد و موضوعات جديدة ، و ثار الشعراء و الأدباء على الزخرفة اللفظية ، و كل هذا أدى إلى ظهور نظرية جديدة و هي نظرية التعبير التي انسجمت مع تلك التغيرات .

**أسسها الفكرية و الفلسفية :**

 إن التغيرات التي طرأت في أواسط القرن الثامن عشر تمحورت حول تمجيد الحرية الفردية ، فظهرت شعارات في كل المجالات فعلى المجال الاقتصادي قيل : "دعه يعمل دعه يمر "، و على الصعيد الأدبي قيل: " دعه يعبر عن ذاته " ، فالفرد هو أساس المجتمع البرجوازي الجديد و له كامل الحرية للتعبير عن آرائه و انتمائه الفكري و ميوله و عواطفه ، بغضّ النظر عن انتمائه العائلي ، مما ساهم في تحرير الفرد من سطوة الإقطاعية المعتمدة على العقل و تحكيم العائلة في الفرد .

 و في هذه الفترة ظهرت الفلسفة المثالية الذاتية التي أشادت بالديناميكية و قالت بأن : " الوجود الأول هو للذات أو الوعي الإنساني ،أما العالم الموضوعي فمن خلق هذه الذات لأن وجوده (وجود العالم الموضوعي) ، متوقف على إدراك مدرك و دون هذا الإدراك يعد العالم الموضوعي غير موجود.

 و على هذا الأساس فكل ذات تخلق عالما موضوعيا و بذلك يقدم الإحساس و العاطفة على العقل الخبرة و التجربة ، و يعدّ كل من كانت (1724-1800) ، وهيغل (1770-1831) منظّرين فلسفيين لهذه النظرية ، و قد أثّرا كثيرا في الأدباء و النقاد .

 اعتبر كانت الشعور طريق المعرفة الحقيقية ، بينما رأى هيغل أن مصدر الفن هو الخبرة الخاصة ، و ماهية الفن مظهر حسّي للحقيقة و مهمة الفن تعتبر أرفع صور التعبير البشري عن الحقيقة .

 إن العنصر الحسّي يحرّك الخيال لدى الفنان ،و بعمل الخيال يدرك الفنان الحقيقة لا كموضوع و لا كفكرة ، إنما يدركها كصورة ، فالفن إدراك خاص للحقيقة .

 اهتمت نظرية التعبير بالأديب الشاعر أكثر من الأديب السارد ، فالشخصية أهم من الحبكة أو الأحداث (نظرية المحاكاة كانت ترى العكس) ،و الأديب يعيد خلق الحياة من خلا رؤيته الخاصة و الإنسان خيّر بطبيعته .

 كما اهتم رواد هذه النظرية بإظهار قيمة الطبيعة إلى حد تقديسها ، و من بين أعلام النظرية نذكر كلا من وليم ووردزورث (1770-1850) ، و صموئيل تيلور كولردج (1772-1834) ،و كتبا معا ديوانا أسمياه غنائيات عام 1798، وظهرت طبعته الثانية عام 1800 و يبدأ الديوان بمقدمة تظهر أهم الآراء النقدية لهما و التي تجسد نظرية التعبير .

**ملاحظات عامة حول نظرية التعبير :**

1. قوة العلاقة بين الأدب و السيرة : الأدب ينبغي أن يدرس و ينقد من خلال سيرة الكاتب و نفسيته .
2. قوة العلاقة بين الأدب و علم النفس : بعد ظهور الدراسات التي ربطت الأدب بعلم النفس ، ربط النقد بين الإنتاج الأدبي و الموهبة الفردية و اللاشعور الفردي و الجمعي .
3. يعتبر كوليردج ممهدا للفرويدية و الوجودية فلسفة و أدبا ، و بذلك فإن نظرية التعبير تمثل التمرد على كل شيء ، عكس المحاكاة التي كانت تضع قوانين و أسسا يجب إتّباعها .

**المحاضرة 05: نظرية الــخلــــق**

إذا كانت نظرية التعبير نتاجا لصعود البرجوازية و تقدمها ،فإن نظرية الخلق كانت نتاجا لفكر الطبقة نفسها في الزمن الذي كادت تأفل فيه إبّان أزمتها الفكرية .

 ظهرت نظرية الإنتاج الأدبي في أواخر القرن ال19 ، إذ تحول الفن و الإبداع إلى سلعة في ظل الرأسمالية ، و هي حركة تدل على رد عنيف على المستوى المتردي للفن و الأدب ، فنادت الطبقة المثقفة إل ضرورة البحث عن الفن الخالص و عدم ارتباطه بأي وجهة سياسية او اقتصادية أو دينية ، و رفضت أن يستغل الفن و الأدب لأغراض نفعية ،(عدم الارتباط بالدين أو العلم أو المجتمع )، و هذا من أجل أن يعود الأدب إلى مكانته الراقية ، و أن يعود الفن إلى برجه السامي.

**أسسها الفكرية و الفلسفية :**

 تستند نظرية الخلق إلى الفلسفة المثالية الذاتية شأنها شأن نظرية التعبير ، فقد قامت على أفكار كانت في الذاتية المتطرفة ، التي تفصل بين الجميل و المفيد ، بل تضع صفة التناقض بينهما ، فإن كان أفلاطون يرفض الفن لأنه غير مفيد ، فإن كانط على العكس يرفض الفن إذا ارتبط بأية فائدة أو متعة أو منفعة أو غاية ، و قد ربط كانط العمل الفني بخصائص ذاتية و منها :

1. كل عمل ذو وحدة جوهرية فنية تبين الغاية من العمل الفني (بنية العمل الإبداعي هي التي تجعل منه عملا فنيا ).
2. لكل شيء غاية إلا الفن أو الجمال ، فنحس أمامه بمتعة تكفينا السؤال عن غايته ، و لو وجد عالم للجمال وحده لكان كافيا لأن يكون غاية في حد ذاته .
3. اقتران الجمال بالخير ، يجعل الشيء الجميل غير خالص لجماله .
4. و الحكم النقدي على العمل الفني يجب أن يكون هو الآخر ذاتيا مبنيا على الذوق لا يخضع للعقل و المنطق أو السؤال عن الغاية .

و من بين المؤسسين أيضا لنظرية الخلق نذكر الفيلسوف هيغل الذي رأى أن مضمون الفن هو فكرة الجمال المستقلة عن مهمته في الحياة .

ومن بين أعلام هذه النظرية نذكر الشاعر الفرنسي بودلير (1821-1867) ، وهو أول من قال بفكرة الفن للفن و يرى بودلير أن موضوع الشعر هو الشعر نفسه ، و غاية الكتابة الشعرية هي المتعة في ذاته و من الأعلام نذكر إدجار ألان بو ، برادلي ،كروتشيه ، ت.س.إليوت ، هيوم ، إدجار ألان بو و غيرهم...

 لكن معظمهم عاد عن مبادئ نظرية الخلق ، و ربطوا العمل الإبداعي بالأخلاق و المجتمع و الدين .

**أسس نظرية الخلق :**

1. **الشعر و الحياة :**ذهب برادلي إلى اعتبار أن الحياة تملك الحقيقة، و لا يمتلك الحقيقة الكاملة ...فالشعر و الحياة ظاهرتان متوازيتان لا تلتقيان .
2. **الشعر و الموضوع :** لا تهتم نظرية الخلق بالموضوع أو الفكرة أو المضمون أو المحتوى ،إنما تهتم بالكيفية التي يتبناها الشاعر ليحوّل الموضوع من مستواه الخارجي إلى مستوى فني .
3. **الشعر و العواطف و الانفعالات :** إن العواطف و التجربة و الموضوع و المناسبة لا تؤثر في القيمة الفنية للعمل الأدبي ، فالأدب ليس تعبيرا عن الانفعال كما تزعم هذه النظرية ، و إنما تكون القيم الفنية لقوة الابتكار و الخلق الأدبي المتمثلة في جعل اللغة قادرة على الإيحاء و امتلاك قوة التّأثير .
4. **اللغة و الخلق الفني :** اللغة مادة الأدب ، ومعنى الخلق الفني هو سيطرة الأديب على اللغة بما يضيفه عليها من ذاته و روحه ، فاللغة وسيلة للخلق الأدبي أو مادته الخام التي تمنحه موسيقاه و ألوانه .
5. **المعادل الموضوعي ، الفن الموضوعي :**لقد قدّم لنا ت.س.إليوت مفاهيم لمايسميه بالفن الموضوعي  **،** و من ثم النقد الموضوعي مؤكدا أن الشعر خلق ، إذ يرى إليوت أن الشعر ليس تعبيرا عن الذات الشخصية ، بل هو هروب منها ، إنما الشعر خلق.

**ملاحظات عامة عن نظرية الخلق :**

1. أن كثيرا من الفلاسفة و النقاد و الأدباء قد رفعوا راية الجمال في وجه المجتمع الرّأسمالي الذي حول كل شيء إلى سلعة ،وقد فصلوا بين الجميل و المفيد لأن الجميل يصبح غاية في حد ذاته ، و هذا يعني أنه على الناس أن يتجهوا نحو الفن ، لا أن يتجه الفن نحو الناس .
2. أنهم رأوا أن الواقع المحيط بهم قبيحا ، و شكّوا في مقدرة الإنسان على التعبير ، فلم يجدوا إلا وسيلة التحدث عن الجمال الخالص فنادوا بها .
3. لقد ساهمت نظرية الخلق في التأكيد على السمو الفني للنّصّ الأدبي ، و لفتت انتباه النقاد و الباحثين إلى ضرورة البحث في العلاقات الداخلية للنّصّ دون سواها .
4. نظرية الخلق مليئة بالثغرات و انتهت إلى نتائج خاطئة ، فالموضوع و العواطف و الانفعالات تؤثر كثيرا في صياغة العمل الأدبي ، خاصة في الجانب الشكلي منه ،كذلك إن الفارق بين عمل و آخر يعود إلى اختلاف الخبرات الاجتماعية .

**المحاضرة06: نظرية الانعــــــــكاس**

 في القرن ال19و نتاجا للتقدم العلمي و التكنولوجي و الاقتصادي و الاجتماعي ظهر أدب جديد اصطلح على تسميته بالأدب الطبيعي الواقعي ، وقد ربط هذا الأدب بالحياة و البيئة أو الوسط أو الواقع أو الظروف الاجتماعية .

 و لعل أهم منظّّر لهذه النظرية هو هيبولت تين في مقدمة كتابه "تاريخ الادب الإنجليزي"، الذي نشر عام 1868 و الذي لقي اهتماما كبيرا من لدن النقاد.

يرى تين أن هناك ثلاثة عوامل تؤثر في الأدب هي :

1. **الجنس أو العرق أو النوع :** و هي تتمثل في الخصائص القومية ، فأدب أمة ما يختلف عن أدب أمة أخرى ، وهذا يعود إلى اختلاف الخصائص القومية و العناصر الوراثية و النزعات و العلاقات العدائية و الملامح الجسدية .
2. **البيئة :**البيئة تتحكم في الحياة العقلية و الأدب ، فالمناخ في أي مكان يؤثر في تشكيل المزاج للفرد و ذلك يؤثر في الأدب.
3. **الزمن :**و يقصد به اللحظة التاريخية ، وهو ما يجعل مفهوم البيئة متحركا و يعني به روح العصر أو مكان العمل الأدبي من تاريخ التراث.

و من رواد النظرية أيضا ليو تولستوي الذي اهتم بالعلاقة بين الأدب و القرّاء و رأى أن وظيفة الفن هي أن ينقل إحساس الفنان إلى المتلقي فمهمته توصيلية ، و إن لم يستطع الفنان أن يوصل انفعاله إلى الناس فهو ليس فنانا ، و الهدف هو إسعاد الناس .

 استندت نظرية الانعكاس بخلاف نظرية المحاكاة و التعبير في تفسير الأدب و نشأته و ماهيته و وظيفته إلى الفلسفة الواقعية المادية ، والتي ترى أن الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من وجود الوعي ، و قد استطاعت نظرية الانعكاس أن تقدم مفاهيم جديدة تماما عن نشأة الأدب و طبيعته و وظيفته ، لعلها أكثر النظريات حيوية و قدرة على الاستمرار بفضل منهجها الذي يتّسم بالحركة ، فإذا ارتكزت نظرية المحاكاة على المتلقي ، واهتمت نظرية التعبير بالمبدع ، و نظرية الخلق التي اهتمت بالنّصّ الأدبي ، فإن نظرية الانعكاس اهتمت بكل هذه العناصر مجتمعة ، و هذه النظرية لم تعتمد على الوصف و التأمل كمنهج لها ، بل اعتمدت على وضع الفرضيات و الاستقراء و دراسة تاريخ الفنون العالمية ،و حاولت تفسير الظواهر الأدبية باعتبارها جزءا من الظاهرة الثقافية .

 يرى أصحاب نظرية الانعكاس أن الكلاسيكية نتجت عن العصر الإقطاعي ، و أن الرومانسية ارتبطت بالثورة البرجوازية ، و أن التقدم العلمي و التكنولوجي ولّد المدرسة لطبيعية ، و بدخول الطبقة

العاملة على مسرح التاريخ ظهرت الواقعية الاشتراكية ، لذلك كله فالأدب صورة عن الواقع الاجتماعي الذي أنتجه أو أنتج فيه.

 إذا كانت نظرية المحاكاة ترى أن الأدب يطهر عواطف القارئ ، و نظرية التعبير ترى أن مهمة الأدب هي إثارة الانفعالات و عواطف القارئ ، ونظرية الخلق ترى أن الأدب يسلي ، فإن نظرية الانعكاس ترى بأن القارئ يشارك بشكل غير مباشر في عملية الإبداع الأدبي .

**ملاحظات عامة حول نظرية الانعكاس :**

* هذه النظرية تستند إلى الفلسفة الواقعية المادية ، و هي بذلك تختلف تماما عن النظريات الأخرى المستندة إلى الفلسفة المثالية و قد خاض أعلامها صراعا فكريا و فلسفيا ضد أصحاب الفن الخالص و الجمال الخالص و رأوا بأن هؤلاء يحطّون من شكل الأدب ، و يستخفون بشأن المبدع الأديب ، لأنهم ينظرون إلى عمله على أنه نوع من اللعب و الزخرفة و التّشكيل الخالي من أي مضمون اجتماعي .
* رأت هذه النظرية أن المعايير النقدية ينبغي أن تشتق من واقع المرحلة الاجتماعية و الثقافية التي أنتج فيها الأدب و أنه لا شيء مطلق في الحياة فلا معايير نقدية مطلقة.

1. ابن منظور ،لسان العرب ،مادة أدب. [↑](#footnote-ref-2)